اللواء محمد زكى عكاشة..

نسر البطولة.. وفيلسوف الوطنية

سمت الراهب.. وعمق الحكيم.. روح الثائر.. وبراءة الشاعر.. دقة الجراح.. وحساسية الفنان.. سماحة الزاهد وحسم القائد.. كل ذلك وأكثر صفات وسجايا شكلت وجدان وعقل اللواء طيار محمد زكى عكاشة.. والذى استطاع مع العشرات من زملائه بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م.. أن يمحوا تلك «الندبة السوداء».. التى علقت بثوب البطولة ناصع البياض.. فبرغم أنهم كانوا السلاح الأكثر تضررا من الهزيمة، حيث استطاع العدو تدمير أكثر من ٨٠٪ من طائراتنا وهى على أرض المطارات.. وبرغم أن طياريننا لم يكن لهم أى ذنب فى تلك الهزيمة القاسية.. إلا أنهم استطاعوا أن يثأروا من ذلك العدو المغرور.. حيث استطاع أبطال الطيران بعد وجود الطائرات الجديدة أن يهاجموا قوات العدو بكل الشراسة يومى ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧م.. لتتواصل بعدها ضربات الطيران الموجعة ضد قوات العدو.. وذلك طوال حرب الاستنزاف.. كما استطاع سلاح الطيران أن يحقق إنجازا عظيما خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣م بالضربة الجوية فى بداية المعركة.. ثم بمعركة المنصورة يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م.

ولد عكاشة فى محافظة الجيزة عام ١٩٤٣م.. وكان والده يعمل مديرا فى بنك التسليف الزراعى.. ومهتما بقضايا الوطن.. ولذلك اصطحب ابنه محمد ابن السادسة من العمر.. لينضما إلى حشود المصريين فى ميدان رمسيس.. وذلك لاستقبال أبطال معركة الفلوجا فى حرب فلسطين.. تلك المجموعة حققت بطولات كبيرة.. برغم حصار الجماعات الصهيونية لها.. وعندما رأى الطفل ابن السادسة ذلك الاستقبال الشعبى الحاشد لأبطال الفلوجا.. تمنى أن يصبح ضابطا بالقوات المسلحة.. ولذلك واصل

التفوق فى دراســته.. حتى وجد نفســه فى موقــف أخر عام ١٩٥٥م.. حيث استطاعت مصر خلال هذا العام.. وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.. أن تكســر احتكار الســلاح.. من خلال صفقة الأسلحة السوفييتية التى حصلت عليها مصر.. والتى أطلق عليها «صفقة الأســلحة التشــيكية».. وقد عمدت حكومة الثورة على وضع نماذج من هذه الأسلحة فى الميادين لكى يراها الشــعب.. وكان من حظ الفتى محمد زكى عكاشــة أن يرى فى طريق الذهاب والعودة من المدرســة.. مدرسة السعيدية الثانوية أثناء الدراسة الثانوية نموذجا لإحدى الطائرات التى حصلت عليها مصر فقرر أن يلتحــق بكلية الطيران.. وبالفعل تمكن مــن الالتحاق بكلية الطيران عام ١٩٥٩م.

وبالفعل تخرج الضابط الشــاب محمد زكى عكاشة فى كلية الطيران عــام ١٩٦١م / ١٩٦٢م ليلتحق بداية بتشــكيلات الطائرات ميج ١٥.. ثم انتقل إلى تشــكيلات الطائرات ميــج ١٧.. وهما من طائرات الاتحاد السوفييتى التى شاركت فى الحرب العالمية الثانية.. وذهب بعد التخرج بأشــهر قليلة ليشــارك فى حرب اليمن.. وعاد فى عام ١٩٦٣م ليذهب إلى الهند.. للحصول على فرقة معلم طيران لمدة أربعة أشهر.. ليعود فى ١٩٦٤م يعمل مدرســا بكلية الطيران ..وقد لاحظ الضابط الشــاب محمد زكى عكاشــة مع بداية شــهر مايو ١٩٦٧م.. حركة قلق وقلاقل شديدة داخل أروقة القوات الجوية.. حيث تلقى هو شخصيا العديد من الأوأمر الغريبة والمرتبكة.. فقد تم الدفع به إلى إحدى القواعد فى ســيناء ثم إلى الغردقة.. ثم إلى ألماظة.. ثم غرب القاهرة.. وأخيرا إلى اليمن.. كل ذلك فى شهر واحد..

حدثـت هزيمة يونيو فأعلن عبدالناصر مسـئوليته عما حدث.. وقرر التنحى.. لتخرج الملايين إلى الشوارع رافضة قرار التنحى.. فتراجع عن قراره.. ليبدأ على الفور مسـيرة الإصلاح داخل القوات المسلحة.. حيث قام بتغيير كل القيادات العسـكرية.. ووضـع على رأس الجيش الفريق محمد فوزى والفريق عبد المنعم رياض.. وتم ذلك يوم ١١ يونيو ١٩٦٧م.. لتبدأ منذ ذلك اليوم.. عملية إعادة بناء القوات المسلحة المصرية.. ووضع الخطط للدخول مع العدو فى حرب استنزاف طويلة.. استعدادا لخوض المعركة الكبرى لاستعادة الأرض والكرامة.. وقد بدأت حرب الاستنزاف بعـد ٢٥ يوما فقط مـن ٥ يونيو.. وذلك بمعركة رأس العش يوم ١ يوليه ١٩٦٧م.. وسرعان ما استعاد سلاح الطيران المصرى عافيته.. وأغار على قوات العدو شرق القناة يومى ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧م.

وتمـت عملية عملاقـة لبناء الدشـم والملاجئ الخرسـانية لحماية الطائـرات وهى على الأرض.. كما تم تغيـير منظومة تدريب الطيارين لتصبح أكثر قوة بعد زيادة عدد ساعات التدريب.. وزيادة عدد طلعات الطيارييـن.. وأصبـح النقيب طيار محمد زكى عكاشـة قائدا لسـرب طائرات ميج ١٧ . وفى العشرين من يوليه عام ١٩٦٩ كانت أهم وأشهر الغارات ضد موقع صواريخ الهوك للعدو فى منطقة رمانة.. حيث تلقى عكاشـة الأوأمر بمهاجمة هذا الموقع بسرب من ثمانى طائرات.. فطلب من مهندس السـرب إعداد عشـر طائرات على أن تكـون اثنتان منها كاحتياطـى.. وعقد اجتماعا مع طياريه لشـرح تفاصيل العملية.. وهى مهاجمـة منطقة الشـئون الإدارية.. وموقع صواريـخ الهوك فى منطقة

رمانة بسيناء.. وأصدر أوامره لطياريه بأن يطيروا على ارتفاع ١٥ مترا فقط. لأن صاروخ الهوك يصيب الطائرات عند ارتفاع ٣٠ مترا فأكثر.. كما طلب من الطيارين أن يحرص كل منهم على أن يكون فى منتهى الدقة عند مهاجمة مواقع العدو.. وذلك لأن تسليح الطائرة ميج ١٧ مجرد قنبلتين وثمانية صواريخ وعدد غير كبير من طلقات المدفع ولابد من التأكد من إصابة الهدف.. حفاظا على الذخيرة.

وقد شارك عكاشة خلال حرب الاستنزاف فى ١٢ عملية تسع منها ضد مواقع الهوك كما ذكرنا.. والثلاث الأخرى كانت ضد تحصينات العدو فى خط بارليف.

وطوال حرب الإستنزاف كان الهم الأكبر للقيادة المصرية هو كيفية وقف طائرات العدو عن الإغارة على أهدافنا غرب القناة.. ولم يكن هناك حل إلا بناء حائط الصواريخ والذى إنتهى العمل فيه فى ٣٠ يونيو ١٩٧٠م.. ليبدأ بعدها طيران العدو يتساقط مثل الذباب.. فتدخل الأمريكان لإنقاذ حليفهم الصهيونى.. وذلك من خلال مبادرة «روجرز» وزير الخارجية الأمريكى.. وعندما وجد عبدالناصر أن الاستعدادات للمعركة الفاصلة مع العدو الصهيونى قد اكتملت.. وافق على مبادرة روجرز فى ٨ أغسطس ١٩٧٠م وذلك لالتقاط الأنفاس.. وإعداد التفاصيل النهائية لخوض المعركة.. ولكن سرعان ما رحل عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م.. ودخلت المنطقة فى ما سمى مرحلة «اللاسلم واللاحرب» وبرغم ذلك كانت مصر تستعد بكل القوة لخوض المعركة الفاصلة..

واستطاعت خلال هذه الفترة أن تحصل عن طريق ليبيا.. على سرب من طائرات الميراج.. وهى طائرات ذات قدرات كبيرة.. وكان الرائد عكاشة واحدا من الطيارين الذين استلموا هذه الطائرات من ليبيا وجاءوا بها إلى مصر.. ليصبح قائد ثانى السرب مع القائد العقيد داود مكارم.. وبالطبع فالطائرة الميراج ٥ لا تقارن بالطائرة الميج ١٧.. فمدى طيرانها أبعد.. وتسليحها أكبر وأخطر.. وحمولتها أضخم..

وقد استطاع سرب طائرات الميراج ٥ أن يشارك بفاعلية فى حرب أكتوبر.. فإلى جانب مشاركته فى الطلعة الجوية الأولى كانت له مشاركات خاصة أهمها.

- تدمير مركز إعاقة وشوشرة للعدو فى عمق سيناء.
- استطلاع المحور الشمالى بدءا من العريش وتصوير قوات العدو.
- تدمير سرية دبابات للعدو «١٠ دبابات» وذلك يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣م.. وكان البطل المقدم عكاشة قائدا للتشكيل الذى دمر تلك الدبابات.
- قصف مطار العريش.

وبعد انتهاء حرب أكتوبر واصل البطل عكاشة عمله بالقوات الجوية المصرية حتى عام ١٩٨٤م.. عندما ترك الخدمة وهو برتبة اللواء.. وبعد أن حصل على العديد من الأوسمة والنياشين والترقيات الاستثنائية.. نظير كفاءته وبطولاته وقدراته القتالية والقيادية الكبيرة..

ولم يترك البطل عكاشة نفسه نهبا لاجترار الذكريات ولكنه شُغل بالعمل العام - حيث راح يكتب فى العديد من الجرائد والمجلات مقالات مهمة عن كل ما يهم الوطن.. كما أصدر العديد من الكتب

المهمة.. ومن أهم هذه الكتب.. «القفص الطائر – قصر فى الجنة – صراع فى السماء (الحروب المصرية الصهيونية من ١٩٤٨م – ١٩٦٧م) جند من السماء – الحروب المصرية الصهيونية خلال الاستنزاف و١٩٧٣م.. (قصة الصراع العربى الإسرائيلى) إسرائيل الكبرى.. وإسرائيل العظمى».

وقد أسعدنى الحظ كثيرا بالاقتراب من اللواء محمد زكى عكاشة.. حيث ربطت بيننا صداقة متينة.. تمت عبر المشاركة فى العديد من الندوات واللقاءات التليفزيونية والإعلامية.. وبرغم حماسى الشديد لتجربة جمال عبدالناصر.. إلا أن اللواء عكاشة كان متحفظا على غياب الديمقراطية السياسية عن هذه التجربة.. وكان يحلو لكلينا أن يمارس مع الآخر نوعا من «الشغب الحميد» فى هذه المنطقة تحديدا ..وبرغم المواقف الكثيرة التى رأيت فيها ذلك البطل العظيم إلا أننى سأكتفى بذكر موقفين فقط.. فعلى كثرة التكريمات والنياشين والأوسمة التى حصل عليها إلا أن دموعه قد غلبته عندما تسلم درع التكريم من وزارة الثقافة.. وذلك خلال صالون ذاكرة الوطن الذى أقدمه شهريا منذ عدة سنوات، حيث اخترته ضمن مجموعة صغيرة من الأبطال للاحتفال بذكرى انتصار أكتوبر وفى نهاية الندوة تسلم كل منهم درع وزارة الثقافة ..فبكى اللواء عكاشة.. قائلا: إنه التكريم الأهم لأنه من الشعب ومن وزارة الثقافة والمثقفين..

أما الموقف الثانى فحدث عندما تلقيت مكالمة من اللواء عكاشة يطلب أن يزورنى فى مكتبى ومعه مفاجأة.. فرحبت على الفور فجاء ومعه ابنه الخبير الأمنى العميد خالد عكاشة.. والذى أصبح نجما بعد استقالته من

وزارة الداخلية ليقدم شـهادته الخطيرة والمهمة ضد جماعة الإخوان فى قضية الهروب الكبير.. وطالت جلسـة الحوار فيما بيننا نحن الثلاثة.. وسـألنى اللواء عكاشة وكنا وقتها نعيش فى «عام الرمادة» الذى حكمنا فيه الإخوان.. ألا تريد أن تعرف المفاجأة التى وعدتك بها.. فقلت إنها بالطبع التعرف إلى خالد.. فقال: لا..

فسألت وما هى.. فقال بابتسامته العذبة.. إننى أردت أن أقول لك.. ولك أنـت تحديدا أننا نحتاج فى هذه المرحلـة إلى جمال عبدالناصر.. فقلت إننا نحتاج إلى استلهام تجربته.. وليس استنساخها..

فوافـق الرجـل الـذى عـاش طويلا متحفظـا على بعـض جوانب عبدالناصـر.. ولكن لأنه شـديد الوطنية.. وشـديد الانتماء، فقد نحى أى خلافات سياسـية جانبا فى سـبيل مصلحة الوطن.. وقد كان اللواء عكاشـة شـعلة من النشـاط الوطنية بعد يناير ٢٠١١ حيث كان يتقدم الصفـوف فى كل الفاعليات والوقفات الوطنيـة.. وفجاة رحل عنا وهو بين يدى أحباءه.. حيث كان يجرى عملية جراحية بسيطة فى القلب.. أجراها قبلة وفى نفس اليوم أربعة آخرون بنجاح كبير ولكنها إرادة الله أن يرحـل ذلك البطل العظيم بهذه الطريقة.. ليغيب عنا جسـد نسـر البطولة.. وفيلسـوف الوطنيـة.. ولكن بطولاتـه وأراءه ورؤاه لن تغيب أبدا.. لأن أمثاله يعيشون أبدا فى سجل الخلود.

□□□